المواجهة الاقتصادية بين المسلمين وقريش في العهد النبوي

الدكتور عبدالرحمن بن علي السنيدي
قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقـدمـة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:ـ

لقد كـانت المواجهـة بين المسلمين وكفار قـريش في عهد الـرسالة مواجـهة بين الحق والباطل والإيمان والكفر.

ويأتي من عناصـر المواجهـة: الضغوط الاقـتصـادية والمادية التي مارسـها كـفار قـريش على المسلمين في العـهد المكي.. عـلى أنها جـزء من مواجـهـة شاملة ضـد الدعوة.

وبعد الهجـرة وإثر قيام الدولة الإسلامية في المدينة أدرك المسلمـون بقيادة النبي (صلى الله علـيه وسلـم) أن أهم مقـومـات اقـتـصـاد مكة هي القـوافل التي أخـذ المسلمون في ملاحـقتها والتعـرض لها.. ولا شك أن ذلك يعد ضغطاً على اقـتصاد قريش (ونعنى بهـا هنا) تلك الأغلبية من الـقرشيين وحلفائهـم ممن ظل على الوثنية والشـرك. وكذلك فـقد وجّه المسـلمون ضـغوطا اقـتصادية أخـرى ومادية بـهدف إضعاف الوثنية واستلالها من مكة كما سيمر بنا.

ومن خلال هذا البـحث أردت تسليط الأضواء على الضـغوط الاقـتـصادية التي تعد أحد أساليب المواجهة بين المسلمين وقريش في عصر الرسالة.

ومماحـفزني على دراسـة هذا الموضـوع الحاجـة إلى دراسـة تضع المواجهـة بين المسلمين وقـريش في الجوانـب الاقـتـصادية في مـوضعـهـا المناسب ضمن أحـداث الصراع بين المسلمين وقـريش، ثم إن الضغوط الاقـتصادية واكـبت مسيرة المواجـهة بين المسلمين وقريش منذ البداية ـ كما سيـمر بنا.. وهي تحتاج إلى تتبع وتحليل يأخذ بعين الاعتبار خصوصية عصر النبوة.

ولاشك أن الدراسات الحديثة في فن السيرة النبوية قد تعرضت لذلك الموضوع بشكل عـام، كذلك عنيت بعض الدراسـات الاستـشراقـية بجـوانب منه ومن ذلك دراسة «الفريد ماكرودونر» FRED MCGRAW DONNER

وهي بعنوان :

MEMMAS FOODSUPPLIES, AND MUHMMAD`S BOYCOTT.

«إمدادت مكة مـن الطعام ومقـاطعة مـحمد » نـشرت في مجلة تـاريخ الشرق الاقتصادي والاجتماعي، المجلد العشرون ، الجزء الثالث عام ١٩٧٧م.

وقد تناول فـي هذه الدراسة مكانة مكة وكـيف تنامت فأصـبحت تماثل البـتراء وتدمر؟ وكيف عارضت النبي (صلى الله عليـه وسلم) وهي تملك مقومات السلطة والنفود والعـلاقات الواسعـة والمهارات التنظيمـية المتطورة؟ كمـا درس كيف تمكن النبي (صلى الله عليه وسلم) آخر الأمر من النجاح في قطع سبل التجارة المكية؟ مما أدى إلى وقوع مشكلات داخلية في مكة حيث ظهرت المجاعة فيها[١].

ولقد تضمنت الدراسة بعض الآراء غير الدقيقـة والمجانبة للموضوعية مثل قوله بأن النبي (صلى الله عليـه وسلم) لم يكن متـفائلاً للحصـيلة النهائيـة لكفاحـه![٢]. ومـبالغـته فـي إرجاع انتـصارات المـسلمين على قريش وبـشكل أساسي إلى نجـاح المسلمين ومـهارة محـمد كـما يقول في قطع تجـارة قريش، وحـديثه عن طعم مـياه زمزم[٣]، وزعـمـه بأن النبي (صلى اللـه عليـه وسلم) قـد بعث ثمـامـة بن أثال إلى اليمامة لقطع الميرة عن مكة[٤].

وكذلك ما ذكره من أن القرشيين بعد أن أصابـتهم المجاعة جعلوا محمدا (صلى الله عليه وسلـم) سببـاً لمعاناتهم[٥]، فهل كل القـرشيين يرى ذلك، أم هذا هو رأي طبقة الزعامة فقط؟

على أي حال فإن دراسة «دونر» جزء من دراسات استشراقية كثيرة في مجال السيرة والتاريخ الإسلامي. ومعلوم أن تلك الدراسات ليست على حد سواء في المنهجية العلمية والتحرر من التعصب والنزعة المعادية لمقام الرسالة الكريم. وليس بخاف على الدارسين في التاريخ الإسلامي أن الدراسات الاستشراقية مع تباينها من ناحية الدقة العلمية والبعد عن التعصب الديني إلا أنها ـ وبصفة عامة ـ كما يذكر الدكتور أكرم العُمري تصدر عن مفكرين عاشوا في بيئة بعيدة عن الإسلام لها حضارتها وفلسفتها ومقاييسها فيصعب عليهم تذوق الإسلام وفهم دوافع المسلم[٦].

ومن هنا فالحاجة قائمة لتناول الموضوع وفق رؤية علمية منصفة تأخذ بعين الاعتبار أننا أمام عصر الرسالة وأمام شخصية المبلغ عن رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه.

إنَّ العوامل الاقتصادية لها تأثيراتها في المواجهة وهناك ضغوط اقتصادية وجهها كل طرف للآخر، كما سنبين، ولعلنا في البداية نتناول بشيء من الإيجاز أحوال مكة الاقتصادية عند ظهور الإسلام، والعوامل الاقتصادية التي جعلت قريشاً تعارض الدعوة.

أحوال مكة الاقتصادية عند ظهور الإسلام

بعد أن تجاوزت مكة أحداث حملة الفيل وحرب الفِجَار أصبح الوضع السياسي في مكة مناسباً لمواصلة الانطلاق وممارسة التجارة التي اشتهرت بها قريش.

وعند ظهور الإسلام ونزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان النشاط الاقتصادي في مكة على سوقه، وكان من أبرز مظاهره الرحلات التجارية حيث تقوم قوافل قريش بالرحلة بين مكة والشام وبين مكة واليمن والحبشة

في أوقات مختلفة من السنة حاملة البضائع والسلع بين مكة وتلك البلاد فأخصبت قريش وأتاها خير الشام واليمن والحبشة، وظفرت بأرباح كبيرة[٧]، وكان من أعيان قريش الذين أرسوا الأسس الأولى للأنشطة التجارية لقريش هاشم بن عبدمناف وابنه عبدالمطلب كما شارك (صلى الله عليه وسلم) قبل بعثته في هذه الأنشطة[٨]، وكذلك كان من مظاهر النشاط الاقتصادي؛ الأسواق الموسمية[٩] التي تقام في مواسم الحج حيث يأتي العديد من العرب بالبضائع والسلع إلى هذه الأسواق كما يشترون من أهالي مكة ما يحتاجونه من سلع وبضائع.

وهناك أنشطة اقتصادية أخرى في مكة يصعب تفصيل الحديث عنها في هذه العجالة، إنما نستطيع القول: أن النشاط الاقتصادي في مكة ـ قبل عهد الرسالة ـ كانت له آثار منها:

١ـ ظهور طبقة من الأثرياء الذين رأوا أن ما يتمتعون به من ثراء وجاه يجعلهم أصحاب القرار النافذ، والشأن المؤثر ويجعل منهم حماة للملة الوثنية وأنظمة المجتمع الموروثة، كما برزت بعض الأسر القرشية في ميدان التجارة والثراء وبخاصة بنو مخزوم وأمية.

وهي أسر ظل يساورها الشعور بأنها ليست أقل من عشيرة بني هاشم[١٠]، تلك العشيرة التي كان لها قصب السبق في القيام بالرحلات التجارية؛ فإن هاشماً ـ جد النبي (صلى الله عليه وسلم) ـ أول من سن الرحلتين لقريش[١١].

٢ـ انتشار الربا وغيره من المعاملات القائمة على الاستغلال مثل بيع البضائع المتوهه والمحاصيل قبل حلول الحصاد وغش الأعراب[١٢]

٣ـ دعم وتعزيز مكانة قريش بين القبائل في الجزيرة العربية، فأصبح كثير من هذه القبائل على ارتباط بقوافل قريش، من خلال ما عرف بعقد الإيلاف.. حيث تأمن

القوافل خلال مرورها بأراضي تلك القبائل في مقابل أن يقوم تجار قريش بحمل بضائعها وسلعها وتسويقها، ثم يردون إليهم رأس مالهم وربحهم[١٣]، وهذه المكانة التي أحرزتها قريش ظلت قائمة حتى استطاع المسلمون إحكام سيطرتهم على القبائل التي تمر بها تجارة قريش[١٤].

وهذه الآثار والنتائج أسهمت في تكوين الموقف القرشي العام من رسالة الإسلام كما سيمر بنا. ولابد من التوضيح أنه عند الحديث عن الموقف القرشي من دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) فإن المراد هنا الموقف العام عند أغلبية القرشيين في مكة وإلا فإنَّ المرحلة المكية من الدعوة شهدت استجابة عدد لابأس به من أبناء عشائر قريش، في حين أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس إلى الدخول في الإسلام بخطوات متدرجة.

العوامل الاقتصادية لمعارضة قريش للدعوة

وعند ما أُعلنت الدعوة انتابت زعماء قريش المخاوف والشكوك إزاء دين الإسلام،ثم أخذت قريش تعارض دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وانبرى للقيام بذلك عدد من رجالاتها، ولا شك أن هناك عوامل كثيرة وراء تلك المعارضة، ليس هنا مجال الحديث عنها، إنما يعنينا هنا رصد العوامل ذات الطابع الاقتصادي، فمن ذلك دور مكة التجاري وما نشأ عنه من علاقات مع العرب، فقد خشيت قريش فقدان دورها التجاري ومكانتها الاقتصادية في حال استجابتها للإسلام، ومما يدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١٥].

وتبين هذه الآية أن قريشاً تتخوف من معاداة العرب لها واجتماعهم على حربها ومن ثم تصبح مسالكها وممرات قوافلها عبر الجزيرة غير آمنه [١٦]، وهذا التخوف صادر عن نظرة سطحية أوحت لقريش أنَّ اتباع هدى الله يغري بهم الأعداء ويفقدهم العون والنصير ويعود عليهم بالفقر والبوار [١٧].

وكذلك يروي الإمام الشافعي رحمه الله أن قريشاً كانت تتخوف من انقطاع معاشها بالتجارة من الشام والعراق إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام [١٨]، مما يؤكد حقيقة خوف قريش من أن يؤدي قبولها للإسلام إلى انقطاع سبل تجارتها، وفقدان المكانة الاقتصادية التي أحرزتها.

ومن عوامل معارضة قريش لدعوة النبي (صلى الله عليه وسلم)، الثراء الهائل الذي يتمتع به بعض الزعماء في مكة نتيجة النشاط الاقتصادي القائم في هذه البلدة ـ كما مر بنا ـ، فإن القوة الرئيسة التي عارضت الدعوة هم أولئك الذين أبرزهم نشاط قريش التجاري.. وهذا لا يعنى أن كل ذوي النشاط التجاري عارضوا الدعوة فهناك طائفة من السابقين للإسلام امتهنوا التجارة وعرفوا بها، كأبي بكر الصديق رضي الله عنه [١٩]، إلا أن الغالبية ممن كذبوا الدعوة هم من أرباب الأموال، ممن أبرزهم نشاط قريش التجاري يدل على ذلك أنَّ الله وصف هؤلاء المكذبين بأنهم أهل نعمة أي أصحاب أموال وغني وسعة قال تعالى:

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾ [٢٠]

أي أرباب الغنى والسعة والترفه [٢١]، كما تبين بعض الروايات أن من أسباب معارضة قريش لدعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقوف أناس من قريش لهم أموال ضد تلك الدعوة [٢٢]، وربما كان من أسباب ذلك الخوف على ثرواتهم وتجارتهم في حال هيمنة الإسلام على مكة، كما أن استجابة فئة الأجراء والصناع ـ

وجُلُّهم من الموالي ـ للإسلام يُعد من أسباب وقوف هذه المجموعة من الزعماء ضد الإسلام، جاء في بعض الروايات أن نفراً من رؤساء قريش طلبوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لكي يصدقوا به، أن يطرد عن مجلسه الموالي لأنهم مجرد عبيد لهم[٢٣].

وعلى أي حال فالذي يظهر أن المجتمع المكي ـ في غالبيته ـ تصور أن ثراء هؤلاء يمنحهم سيادة لاتنازع ومكانة تجعلهم أحق بالنبوة من محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهذا ما توضحه الآية الكريمة:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٢٤]،

يذكر بعض المفسرين أن ممن كانت قريش تعدهم من العظماء ـ في تصورها ـ الوليد بن المغيرة[٢٥]، حيث رأوا أنه أولى بالنبوة من محمد (صلى الله عليه وسلم) لما له من جاه ومال[٢٦]، بل لقد قال بنفسه « أَيُنْزل على محمد وأنا كبير قريش وسيدها »[٢٧].

إن دور مكة التجاري ونفوذها وثراء بعض زعمائها من العوامل التي أدت إلى معارضة أغلبية القرشيين للدعوة منذ إعلانها. على أنه لابد من التنبيه إلى أن هذه العوامل ليست هي الدوافع الأهم التي وقفت وراء معارضة الدعوة من جانب زعماء قريش، فهي جزء من مجموعة من العوامل التي دفعت قريشاً إلى الوقوف بوجه الدعوة، إذ إنَّ هناك عوامل أخرى أسهمت في تكوين هذا الموقف، وعلى أي حال فإن قريشا عزمت على معارضة الدعوة بعد ظهورها وازدياد اتباعها، ومن ثم فقد بدأ الصراع فأصبح أولئك المشركون القرشيون لا ينفكون عن ممارسة الدعاية ضد الإسلام. واتباع أي أسلوب من شأنه أن يُحقق هدفهم المتمثل في إيقاف الدعوة، ومنع انتشارها، وتأتي الأساليب الاقتصادية في مقدمة الأساليب التي

استعملتها قريش من أجل إيقاف الدعوة والتضييق على معتنقيها.

أبرز الضغوط الاقتصادية الموجهة نحو المسلمين في مكة:

اتخذت المواجهة بين المسلمين والمشركين في المرحلة المكية عدة صور وأساليب منها:

الخصومة الفكرية والدعاية ضد الإسلام، والاضطهاد البدني ثم الضغوط الاقتصادية من جانب عشائر قريش على عشيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وبني المطلب.

لقد كانت تلك العشائر هي الأقوى اقتصادياً فهي المتفوقةُ في ميزان الثروة والمال والأشد بأساً أمام عشيرة بني هاشم رهط النبي (صلى الله عليه وسلم)، وبحكم أن هذه العشائر لها هذه المقومات فقد عملت على توجيه الضغوط الاقتصادية نحو المؤمنين برسالة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن صور ذلك:

١ـ تجويع المسلمين من أجل فتنتهم في دينهم، ذكر ابن إسحاق أن بطون قريش وثبت على من فيها من المسلمين يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش[٢٨].

ويُروى أن سعيد بن العاص قال لابنه خالد عند إسلامه: والله لأمنعنك القوت فقال خالد: إن منعتني فالله يرزقني ما أعيش به[٢٩].

٢ـ الضغط على من يعمل بالسوق التجاري من المسلمين بمكة. ذكر ابن اسحاق أنَّ أبا جهل بن هشام كان يرهب من يسلم؛ ممن يعمل بالتجارة، فيقول له: «والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك»[٣٠].

وهذا النص يقودنا إلى الاعتقاد بأنَّ نشاط بعض المسلمين التجاري، مثل أبي بكر الصديق، وخديجة بنت خويلد، وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم ـ قد قل وتقلص نتيجة للمضايقة من جانب أبي جهل وأضرابه.

٣ـ الامتناع عن دفع أجور فقراء المسلمين العاملين في الصناعات وإشعارهم بأن ذلك بسبب إيمانهم بمحمد (صلى الله عليه وسلم). جاء في صحيح البخاري أن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: جئت إلى العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد (صلى الله عليه وسلم)[٣١]. وكان خباب ـ رضي الله عنه ـ قد عمل سيوفا للعاص بن وائل[٣٢].

وروى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس:

أن رجالا من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) كانوا يطلبون العاص بن وائل بدين فأتوه يتقاضونه، فقال ألستم تزعمون أنَّ في الجنة فضة وذهباً وحريراً.. ومن كل الثمرات. قالوا: بلى. قال: فإن موعدكم الآخرة[٣٣]. وقد نزل في ذلك قول الله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾[٣٤]

ويفهم من النص السابق أن هناك أُجراء آخرين غير خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ وهؤلاء الأجراء كانوا يُماطلون ويستهان بهم من قبل العاص بن وائل.

٤ـ ثم انتقلت الضغوط الاقتصادية.. على المسلمين من جانب قريش من مرحلة الممارسات الفردية إلى عمل جماعي وجهد عام تبنته كل عشائر قريش ضد بني هاشم والمطلب بهدف الضغط على بني هاشم كي يسلموا النبي (صلى الله عليه وسلم). إذ اجتمعت هذه العشائر على بني هاشم وبني المطلب فاتفقوا على أن لا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة علقوها في جوف الكعبة

تؤكد المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية[٣٥]، وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا إداما ولا بيعا إلا بادروا إليه واشتروه دونهم[٣٦].

ولا شك أن تلك المقاطعة موجهة نحو الدعوة الإسلامية وقائدها صلوات الله وسلامه عليه ومن وقف معه من قومه، وإن كان مشركاً، فقد عانى مع عشيرته مرارة هذه المقاطعة، قال ابن عباس: حُصِرْنا في الشِّعْب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فما يُبايع حتى يرجع[٣٧].

ويذكر ابن اسحاق أن أبا جهل بن هشام اعترض سبيل حكيم بن حزام وهو يحاول نقل حمولة من القمح إلى عمته خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ[٣٨]، وبلغ الجهد بالمسلمين مبلغه، حتى كانت أصوات الصبيان الجوعى تسمع من وراء الشِّعب[٣٩].

وتولى الوليد بن المغيرة رعاية هذه المقاطعة. وكان مناديه ينادي في قريش: أيّما رجل من بني هاشم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه وحولوا بينهم وبينه، ومن لم يكن عنده نقد ليشتر وعليَّ النقد[٤٠].

ووسط هذه الظروف، كان بنو هاشم وبنو المطلب يخافون على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من القتل[٤١]، ولكن هل تعرضوا للحصار كما يفهم من بعض الروايات[٤٢]؟

لقد ناقش بعض الباحثين[٤٣]، هذه النقطة بإفاضة ثم خلص إلى القول بأن بني هاشم وبني المطلب لم يكونوا محاصرين في الشعب ولو كانو كذلك بالفعل لما كان بالإمكان إدخال إي شيء إليهم؟

ومع أخذ ذلك بعين الاعتبار، ومع أن موسى بن عقبة، وهو أوثق مصادر السيرة[٤٤]، لم يذكر أن بني هاشم وبني المطلب قد حُصروا في الشعب بل ذكر فيما

يروى البيهقي عنه أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شعبهم [٤٥]، إلا أن ما يروى عن ابن عباس في النص الذي مر بنا حيث يذكر أنهم حُصروا في الشعب، ثم يذكر في نفس النص ما يفيد بأنهم يخرجون بالنفقة للشراء [٤٦]، يجعلنا ونحن أمام رواية حبر هذه الأمة وترجمان القرآن، نتساءل عن المقصود بالحصار الذي يرد هنا وهل المقصود به فقط التطويق والإحاطة والحبس؟ أم أن هناك دلالات لغوية أخرى لعبارة «الحصار»؟

يذكر الفيروز آبادي من معاني الحصر «التضييق والمنع من السفر» [٤٧]، ويذكر الرازي أن كل من امتنع من شيء فلم يقدر عليه فقد حصر عنه [٤٨]، والحصار الاقتصادي في تعريف بعض المعاجم الحديثة، التضييق اقتصادياً على بلد من البلدان بمختلف الوسائل [٤٩].

نخلص من ذلك إلى القول أن بني هاشم وبني المطلب قد حوصروا باعتبار أنهم تعرضوا للمضايقة والمنع من الشراء والبيع في سوق مكة وباعتبار أنهم تعرضوا لمستوى من الحصار يصل إلى حد مراقبة وملاحقة من يدخل إليهم بعض الأطعمة [٥٠].

وعلى أي حال فإن عزل المسلمين بهذه الصورة أدى إلى إيقاف نشاطهم الاقتصادي مهما كانت ضآلته لأن النشاط الاقتصادي لا يتم إذا صارت المجموعات البشرية في عزلة عن بعضها.

لقد تنكرت قريش لكل القيم والأعراف حتى القيم التي اتفق عليها مجتمع قريش في حلف الفضول، وضربت عرض الحائط بما يمليه عليها واجب الرحم والجوار ثم أدرك بعض رجالاتها فشل هذه المقاطعة في تحقيق أهدافها لهذا عملوا على تمزيق الصحيفة التي تضمنت مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، كذلك كان لشعور بعض أشراف قريش بالظلم الفادح الواقع على بني هاشم وبني المطلب [٥١]

أثره في العمل على إبطال تلك الصحيفة، يقول أحد أولئك الأشراف الذين أحسوا بحجم الظلم الواقع على بني هاشم وبني المطلب: يا أهل مكة أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة[٥٢].

كيف واجه المسلمون ضغوط قريش الاقتصادية ؟!

للإجابة عن هذا السؤال لابد من معرفة أحوال أغلبية من آمن بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، ذلك أن فيهم نسبة قليلة ممن لديهم أموال وتجارة؛ مثل أبي بكر الصديق وخديجة بنت خويلد[٥٣] رضي الله عنهما، وفيهم مجموعة من الشباب والفتيان ممن يعتمد في العيش على أسرته مثل، مصعب بن عمير[٥٤]، وفيهم من يعدون من الضعفاء والفقراء مثل بلال بن رباح وخبَّاب بن الأرَتِّ وعبدالله بن مسعود وياسر العنسي[٥٥]، والذي يظهر أن أكثر المؤمنين من هؤلاء الذين يعانون الفقر، وقلة ذات اليد، ويزيد من آلامهم ازدرائهم من قبل المشركين، وانعدام الإحسان في تلك البيئة إلا في أحوال نادرة.

وعلى أى حال فإنَّ أحوال المسلمين المعيشية قد أصابها ما أصابها نتيجةً لضغوط قريش، لقد ظهرت قيم الصبر والثبات على المبدأ في مثل تلك الظروف، وإلى جانب ذلك ظهر التكامل والتضامن بين أفراد المجموعة الإسلامية، حيث قام الصحابة المياسير بمعالجة أحوال إخوانهم الفقراء وتقديم الأموال للمحتاجين. فأبو بكر الصديق اعتق عدداً من الأرقاء المستضعفين بلغ عددهم سبعة، وقدم أمواله في سبيل الله خدمة للدعوة. لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وواساني بنفسه وماله[٥٦]، وأيضاً فإن كلا من خديجة بنت خويلد وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ ساندا المسلمين في هذه الظروف[٥٧].

كما كان لدعوة القرآن الكريم إلى إطعام الفقراء المعوزين والإنفاق عليهم صداها في معالجة تلك الضغوط حيث جاءت آيات القرآن الكريم في تلك المرحلة مبينة أن سلوك طريق النجاة إنما يكون بفك الرقاب وإطعام الفقراء والمساكين والأيتام في أيام المجاعات قال تعالى

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾[٥٨].

كما جاءت آيات أخرى تعرِّض بما فعله المشركون من قهر للأيتام والضعفاء وقعود عن تعهد المساكين وإطعامهم. مثل قوله تعالى

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ... فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾[٥٩].

ولا شك في أن الصحابة المقتدرين قد أنزلوا تلك التوجيهات القرآنية منزلة التطبيق والعمل.

ثم جاءت الهجرة إلى الحبشة للخروج من البلاء النازل بالمسلمين؛ ومن ذلك ما يواجهونه من ضغوط اقتصادية، والحبشة كما مر بنا من الأقاليم والأماكن التي تقصدها قوافل قريش، وقد أذن النبي (صلى الله عليه وسلم) ـ للصحابة رضي الله عنهم ـ بالهجرة إليها بعد أن اشتدت عليهم الضغوط.

إن هجرة المسلمين إلى الحبشة خطوة قُصِدَ بها أساساً الابتعاد عن جو الاضطهاد ـ بكل صنوفه ـ ولا شك في أنَّه قد تهيأت لمن هاجر من المسلمين الفرصة للقيام بالعمل والنشاط الاقتصادي، فإن تلك البلاد وصفت بسعة أرزاقها وتوفر الأمن والعدل فيها[٦٠]، وتدل بعض الأخبار على أن المسلمين مارسوا البيع والشراء فكانوا ينزلون إلى الأسواق لهذه الغاية[٦١]، مما أسهم في تحسين أحوالهم المعيشية والاقتصادية هناك.

هذا مع أن ضغوط قريش وإغراءاتها لاحقت المسلمين هناك عند ما قَدَّمَت من خلال رسوليها الهدايا من متاع مكة إلى النجاشي ملك الحبشة وبطارقته. لكي يتم رد المسلمين إلى مكة[٦٢]، إلا أن تلك الإغراءات فشلت في تحقيق أهدافها حيث اعتبر النجاشي تقديم الهدايا رشوة بغيضة يحرم عليه أخذها. وبالمقابل أعطى المسلمين الحرية ومنحهم الأمن داخل بلاده[٦٣]، كما شهدت مكة آنذاك بعض المواقف التي عبر فيها المسلمون بقيادة النبي (صلى الله عليه وسلم) عن رفضهم للممارسات الظالمة بوجه عام، مثل موقف النبي (صلى الله عليه وسلم) من أبرز زعماء قريش وصاحب الكلمة النافذة في مكة أبي جهل بن هشام عند ما وقف (صلى الله عليه وسلم) إلى جانب الأراشي الذي باع إبلاً لأبي جهل فلم يسلمه الثمن، وتوجت الوقفة النبوية بإذعان أبي جهل بن هشام وتسليمه مال الرجل صاغراً؛ كما ساند النبي (صلى الله عليه وسلم) تاجراً من زبيد أكسد عليه أبي جهل سلعته وظلمه[٦٤]، هاتان الحادثتان وقعتا في غمرة ضغوط قريش على المسلمين كما يفهم من سياق كتاب السير والمغازي لها. أما هل تزامنتا مع المقاطعة لبني هاشم وبني المطلب؟

للإجابة عن ذلك نقول: إن ابن هشام ذكر حادثة الأراشي بعد خبر المقاطعة كما ذكر الصالحي الحادثتين، بعد إيراد خبر المقاطعة أيضا[٦٥]. لكن ذلك ليس دليلاً كافياً للجزم بأن الحادثتين وقعتا بعد المقاطعة، لكن المؤكد أنهما وقعتا في غمرة ضغوط قريش على المسلمين كما قلنا، وعلى أي حال فإن موقف النبي (صلى الله عليه وسلم) من تلك المظالم يؤكد أن الإسلام يرفض الظلم ويمقته.. فهو ظلمات يوم القيامة[٦٦]، كما يؤكد موقف النبي (صلى الله عليه وسلم) أن ضغوط قريش المستمرة قد فشلت في النيل من عزيمة صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

وعلى أي حال لم تحقق ضغوط قريش الاقتصادية على المسلمين الأهداف المتوخاة منها حيث زاد ت المسلمين تمسكا بدينهم وثباتا عليه.

بل لقد ازدادت ثقة الناس برسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدل على ذلك أن بيته (صلى الله عليه وسلم) صار محلاً لودائع الناس. فليس أحد بمكة عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٦٧].

وأساءت هذه الضغوط إلى سمعة مكة وجرَّت زعماء قريش إلى ارتكاب مظالم أخرى تألم منها بعض تجار الإبل فنبه إلى خطورتها فقال: «كيف تدخل عليكم المادة أو يحل تاجر بساحتكم وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم»[٦٨].

المدينة ومكة من التعاون والتكامل إلى المواجهة والضغوط المتبادلة

كانت قوافل قريش التجارية المتجهة جنوب الشام والآتية منه تمر بالمدينة فتنزل أحيانا في بلدات قريبة منها مثل بدر، ويقدم بعض أهالي المدينة من عرب ويهود لهذه القوافل خدمات الإيواء والإجارة والحماية.

فمثلا كان سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ يجير تجارة لجبير بن مطعم والحارث بن حرب ويمنع عنهما الظلم[٦٩]، كما يظهر من بعض الأحداث أن أبا سفيان كان على علاقة بسلام بن مشكم سيد بني النضير[٧٠]، وحرصت قريش على أن تكون علاقاتها بأهالي يثرب متسمةً بالمودة والصفاء وأن يظل الأمن والسلام سائداً على طريق قوافلها، لهذا قالوا للخزرج بعد بيعة العقبة الثانية: « إنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم»[٧١]. ولعل مما ساعد على تمتين الصلات والعلاقات بين قريش وسكان المدينة. كون أغلبية السُكان في يثرب زراعاً وليسوا مشاركين في أنشطة تجارية خارجية تجعلهم في تنافس مع أغلبية

سكان مكة مما جعل العلاقات تتخذ مساراً تكامليا حيث تأخذ قريش من المدينة التمور والحبوب وغير ذلك من الحاصلات مقابل بضائع الشام واليمن.

وبعد هجرة المسلمين إلى المدينة تغير طابع العلاقات حيث بدأت قريش بالتلويح بالمنع من زيارة البيت والطواف به بسبب استقبال المدينة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمهاجرين وما نشأ إثر ذلك من تحالف بين المهاجرين والأنصار (أهل المدينة) يظهر ذلك بشكل واضح في تهديد أبي جهل لسعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ بُعَيْد الهجرة، حيث قال له:« ألا أراك تطوف بالبيت آمناً وقد أويتم الصُّباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم..» ورد سعد ـ رضي الله عنه ـ بالتهديد بمنع أبي جهل من ارتياد المدينة..[٧٢] وفي رواية «لأقطعن عليك متجرك بالشام»[٧٣].

وهكذا نلحظ بوضوح أن قريشا تلوح بالمنع من زيارة البيت والطواف به فيرد زعيم الأوس بكل قوة بالتلويح بمنع قوافل قريش ـ وأبو جهل من قادتها ـ من المرور عبر المدينة إلى الشام إدراكا منه للأهمية الخاصة التي يكتسبها موقع المدينة بالنسبة للقوافل التجارية القرشية.

وبصفة عامة فإن طابع العلاقات سوف يتغير بعد الهجرة ـ حيث انضم المسلمون المكيون إلى إخوانهم في المدينة ـ من الأنصار وأدركت أمة الإسلام الناشئة بقيادة النبي (صلى الله عليه وسلم)، أن هذا الموقع الذي انتقلوا إليه يجعل من الممكن القيام بضغوط اقتصادية على قريش بصفتها جزءاً من المواجهة بين الإسلام والشرك، وهذا ما سوف يمر بنا.

لقد ذهل القرشيون وهم يرون الصحابة رضي الله عنهم يشرعون في الهجرة ويخرجون من مكة، وخشوا أن يكون انتقال النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة، مؤذنا بتهديد سلطانهم السياسي والاقتصادي لهذا حاولوا المكر بالنبي

(صلى الله عليه وسلم) وقتله، على أن مخططاتهم تلك لم تؤد إلى نتيجة. وفي المقابل كان من نتائج الهجرة تكوين دولة للمسلمين في المدينة، تعمل بمقتضى أحكام الإسلام التي نزلت منجمة، ومتدرجة في تطبيقها، وسيكون لهذه الدولة موارد مالية مثل: خمس الغنائم والزكاة والصدقات[٧٤].

وفي هذه المرحلة شرع الله للمسلمين الجهاد في سبيله، ولا شك أن الاقتصاد يوفر للحرب العتاد والعدة ويدعم حركة الجهاد، ومن هنا جاء التوكيد على مفهوم الجهاد بالأموال في القرآن الكريم كقوله تعالى

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٧٥]،

وهكذا فإن اقتصاد الطرفين من العوامل المهيئة للمواجهة العسكرية؛ وتبعا لذلك ونتيجة للمواجهة بين الطرفين سوف نجد أن اقتصادهما سيتعرض للضغط والإنهاك، فقوافل قريش ستكون عرضة للتهديد والملاحقة من قبل المسلمين، وهذا سيشكل ضغطا على اقتصاد قريش كما سيمر بنا، كما أن قريشا قد استولت على أموال عائدة لبعض المهاجرين وهذا سوف يؤثر على اقتصاد المدينة، على أي حال نحن في هذه المرحلة التي أعقبت الهجرة، أمام بعض الخطوات التي أثرت على اقتصاديات الطرفين وسيتم عرضها في النقاط الآتية:

أولا: أخذ قريش أموال وممتلكات بعض المهاجرين:

بعد خروج المسلمين من مكة فقد الكثير من المهاجرين أموالهم وممتلكاتهم حيث استولى المشركون على الدور، فكل من هاجر من المؤمنين باع قريبه الكافر داره[٧٦] لكن الأمر لا يقتصر على الدور والمساكن بل تعدى إلى المال، حيث استولى المشركون على أموال بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولعل من أبرز هؤلاء الصحابة الذين أخذت أموالهم صهيب الرومي رضي الله عنه.

فقد روى أن صهيب الرومي رضي الله عنه لما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم قال: فإني جعلت لكم مالي فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: ربح صهيب، ربح صهيب[٧٧].

وتشير المصادر إلى أنَّ المهاجرين قدموا المدينة وليس بأيديهم شيء[٧٨] والمعروف أن نسبة منهم يعدون من الأغنياء فأين ذهبت أموالهم!!؟. لقد استولى عليها المشركون وأخذوها ظلماً وعدواناً.

هذا مع أن فريقا من المسلمين تمكن من نقل معظم أمواله إلى المدينة كأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حيث يبدو أنه قد بقي جزء منها عند بعض أولاده الذين خرجوا مع المشركين يوم بدر[٧٩].

ثانيا: منع قوافل قريش من ارتياد المدينة

إثر استقرار المهاجرين بالمدينة كتب النبي (صلى الله عليه وسلم) كتاباً نظم بموجبه العلاقات بين سكان المدينة، حيث وضعت أمام كل مجموعة سكانية الحقوق والواجبات التي ينبغي الوفاء والالتزام بها، وليس بخاف على الدارسين لتاريخ المسلمين أهمية ذلك الكتاب في مجال دراسة التنظيمات السياسية الإسلامية بعد الهجرة،ولا سيما أن الروايات عن الكتاب جاءت من طرق متعددة تكسبها القوة[٨٠]، ولقد احتوى كتاب المعاهدة على نصوص كثيرة ليس هذا موضع بسطها، إنما يعنينا أن الكتاب احتوى على نصوص قيدت التعامل مع قريش وقوافلها التي تمر غرب المدينة حيث نص الكتاب على أنه «لا يُجير مشركٌ مالاً لقريش ولا نفساً، وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها»[٨١].

وبناء على هذه المعاهدة لم يعد بإمكان قوافل قريش ارتياد المدينة والنزول فيها، وأصبح لدى اليهود وهم عنصرٌ مهمٌ من عناصر السكان في المدينة آنذاك، علمٌ بأن إجارة قوافل المشركين عمل محظور بمقتضى هذه المعاهدة.

ثالثا: الضغط على اقتصاد مكة عن طريق التعرض للقوافل

مر بنا أن لقوافل قريش التجارية أهمية حيوية للاقتصاد في مكة فهي وسائط نقل السلع والبضائع من وإلى مكة وبين مدن الحجاز الرئيسة، والشام واليمن والحبشة وغيرها من الأقاليم والأقطار، وهي سر ثراء أهالي مكة، وباستمرارها ونشاطها تتمكن قريش من بناء قوة عسكرية تستطيع بواسطتها ضرب الوجود الإسلامي في المدينة، كما أن توقفها وانكماش نشاطها، يؤدي إلى ضعف مكة اقتصاديا وانحطاط مكانة زعمائها.

ولهذا ما إن أذن الله تعالى للمسلمين بجهاد أعدائهم المشركين، حتى أخذوا في التضييق على القوافل القرشية وتوجيه السرايا والغزوات إلى هذه القوافل من أجل إضعاف قريش وهز اقتصادها وإشعارها بأن المسلمين في مقدورهم التأثير على نشاط قريش الاقتصادي والتجاري، كما أن كسب هذه القوافل مما يُحسِّن من أوضاع المسلمين الاقتصادية.

وكان أبرز الغزوات والسرايا التي استهدفت قوافل قريش قبل بدر الحملات الآتية:

- سرية حمزة بن عبدالمطلب إلى سيف البحر في السنة الأولى من الهجرة، حيث بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) حمزة ـ رضي الله عنه ـ في ثلاثين راكباً فبلغوا سيف البحر، وهناك التقى المسلمون بقافلة لقريش جاءت من الشام. فيها أبو جهل بن هشام، ولم تحدث مواجهة بين الطرفين نظراً للدور الذي لعبه مجدي بن عمرو الجهني في المصالحة بينهما، حيث أتاحت له صلته الحسنة

بالمسلمين وقريش القيام بهذا الدور. يذكر الواقدي بأنه كان حليفاً للفريقين[٨٢].

- سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ - في شوال من السنة الأولى للهجرة - وقد تعقبت هذه السرية جمعاً من المشركين القرشيين بقيادة أبي سفيان بن حرب الذي كان يقود قافلة تجارية لقريش فيما يظهر من الأحداث والوقائع.
- ثم كانت السرية الثالثة تحت قيادة سعد بن أبي وقاص. روى الواقدي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لسعد: اخرج ياسعد حتى تبلغ الخرار[٨٣]، وذلك لأن عيراً لقريش ستمر به[٨٤].

وهكذا نلحظ أن هذه السرايا الثلاث تَقَصَّدت قوافل قريش على طول طريق تجارتها مع الشام.. ولم يقتصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) على بعث السرايا، بل خرج في عدة غزوات قبل بدر الكبرى بلغت أربع غزوات، كان من أبرز أهداف ثلاث منها، مواصلة تعقب قوافل قريش، والحيلولة بين قريش وحلفائها المجاورين للمدينة الذين كانوا يجيرون قوافلها وعقد المعاهدات مع بعض القبائل مثل ضمرة، وبني مدلج، وهذه الغزوات هي الأبواء، وبواط، والعشيرة[٨٥].

ولم تكن خطة المسلمين في التعرض للقوافل القرشية خاصة بطريق الشمال، بل إنها امتدت إلى طريق تجارة قريش مع اليمن وجنوب مكة، وذلك واضح من خلال تعرض سرية عبدالله بن جحش - رضي الله عنه - في نخلة لقافلة قرشية كانت تحمل أدما وزبيبا وتجارة لقريش[٨٦].

ثم جاءت غزوة بدر الكبرى: حيث ندب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين للخروج لملاقاة عير قريش القادمة من الشام في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وتلك العير من أعظم قوافل قريش حيث تضم ألف بعير، وفيها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب، والواقع أن هذه العير تابعها المسلمون وهي في رحلة الذهاب إلى الشام، حيث خرجوا يطلبونها في

غزوة العشيرة[٨٧]، إذ جاء الخبر النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) بخروجها من مكة إلى الشام، غير أنها فاتت المسلمين في هذه الغزوة[٨٨]،ومع ذلك استمرت متابعة العير، حيث أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد بن عمرو يتحسسان خبرها [٨٩].

يذكر الواقدي: أنهما نزلا عند « كشد الجهني»[٩٠]، بالنخبار من الحوراء، حتى مرت العير وتبين لهم ما فيها[٩١].

ثم أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) عدي بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو، من أجل تتبع خبر العير، قال موسى بن عقبة: «فسارا حتى أتيا حياً من جهينة قريبا من ساحل البحر، فسألوهم عن العير وعن تجار قريش فأخبروهما، بخبر القوم فرجعا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبراه فاستنفر المسلمين للعير[٩٢].

ويفهم من النص السابق أن إرسال عدي بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو سبق الخروج لملاقاة العير، خلافاً لما جاء عند ابن اسحاق من أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعثهما بعد خروجه من المدينة[٩٣]، ويذكر ابن اسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعثهما من الصفراء[٩٤]. وأنهما سمعا جارية تقول لصاحبتها عند ماء بدر «إنما تأتي العير غدا أو بعد غد. ثم إن عدياً وبسبساً نقلا الخبر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)[٩٥].

ويذكر الواقدي أنهما قدما على النبي (صلى الله عليه وسلم) من بيوت السقيا[٩٦]، ثم ذكر أنهما وردا بدراً يتحسسان خبر القافلة[٩٧].

وكل هذه المصادر وغيرها تؤكد أن هذه العير كانت متابعة ومراقبة من قبل المسلمين، وبالمقابل فإن أبا سفيان وهو زعيم حذر، ارتسمت في مخيلته تعرض المسلمين لعدد من القوافل القرشية، وحصل على معلومات أدرك على أثرها أن

عيره ملاحقة من قبل المسلمين لهذا «سَاحَلَ بها وترك بدراً بيسار»[٩٨]، ثم بعث إلى قريش ضمضم بن عمرو، يدعوهم إلى حماية عيرهم[٩٩]، وحينما رأى أن العير ابتعدت عن الخطر أرسل إلى قريش يدعوهم إلى الرجوع إلى مكة، بعد ما خرجوا استجابة لطلبه حماية العير فإن ضمضم بن عمرو هتف بقريش قائلا: يامعشر قريش.. اللطيمة اللطيمة[١٠٠] أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه[١٠١]، ولن ندخل في التطورات والأحداث التي أعقبت ذلك فهذا مما يخرج عن نطاق هذه الدراسة، وإنما يكتفى هنا بإبداء الملحوظات الآتية:

١ـ إن أبا سفيان بن حرب عندما سلك بالعير طريق الساحل شعر بأنه قد حقق هدفاً كبيراً، حيث أنقذ اقتصاد قريش وتجارتها وأموالها، ومن ثم رأى أن على قريش أن ترجع[١٠٢].

٢ـ رجع بنو زهرة بعد أن نصحهم الأخنس بن شريق بذلك قائلاً: قد نجى الله عيركم وخلص أموالكم[١٠٣]، ومما يدل عليه رأى أبي سفيان والأخنس أن طائفة من رؤساء قريش ذوي التفكير العملي الواقعي رأوا أن نجاة القافلة جعل من السعي لمواجهة المسلمين ومحاربتهم خطوة لا أهمية لها. ذلك أن الخروج لهذه المواجهة إنما كان من أجل غاية مهمة، هي حماية القافلة التجارية ذات الأهمية الاقتصادية والحيوية بالنسبة لقريش.

٣ـ إن خروج المسلمين وراء العير (القافلة) ورغبتهم في حيازتها ثبت بقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١٠٤]

وذات الشوكة هي العير[١٠٥].

كما جاء في رواية ابن إسحاق فيها بالسماع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ندب المسلمين للخروج إلى هذه العير التي فيها أموال قريش[١٠٦]، ولا يعنى أن وراء ذلك أهدافا اقتصادية بحته، فالجهاد في تلك المرحلة كان مشروعاً لرد العدوان ورفع الظلم، ومما يدعم العدوان ويملي للظالم تجارة قريش وأموالها وعلاقاتها الخارجية.. فهي تدر على زعماء قريش الأموال والأرباح مما يشجعهم على الاستمرار في محاربة الإسلام، ولو أراد المسلمون ارتزاقا لاستطاعوا غزوقبائل أقل سلطانا من قريش[١٠٧] وكذلك فإن خروج المسلمين أيضا كان يهدف إلى تعويضهم عن أموالهم وممتلكاتهم التي فقدوها في مكة بعد هجرتهم.

ومن ثم فلا داعي لإنكار محاولة المسلمين إحراز العير ونفي أي نية لديهم في حيازة القافلة والإغارة عليها، والإيحاء بأنَّ ذلك يتعارض مع دافع الجهاد الإسلامي[١٠٨].

٤ـ ثم إن ا لله تعالى أراد للمسلمين أن يلاقوا جيش قريش، قال الطبري في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١٠٩].

«يريد الله أن يحق الإسلام ويعليه بكلماته.. بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار وأنتم تريدون الغنيمة والمال»[١١٠].

لقد أدى تَقَصُّدُ المسلمين لقوافل قريش في هذه المرحلة من السنة الأولى حتى نهاية شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة إلى النتائج الآتية:

١ـ هدد المسلمون أهم طرق التجارة التي تسلكها قريش هو طريق التجارة مع

الشام، وأصبحت قريش تَحْذَر المسالك القريبة من دار الإسلام الجديدة (المدينة).

٢ـ وقع أول صدام قوي بين المسلمين وقريش في بدر؛ نتج عنه هزيمة قريش، وضياع أموالها التي أنفقتها على الحرب، وانحطاط مكانتها عند العرب.

كما دفعت بعض الأسر القرشية الأموال الكثيرة لافتداء أسراها ـ الذين أسروا في هذه الغزوة ـ وهكذا تعرض اقتصاد مكة لضغوط شديدة جراء ما ذكرنا.

ومن أبرز نتائج عمليات التعرض لقوافل قريش والسيطرة على طريق مكة ـ المدينة ـ الشام أن قريشا حاولت البحث عن طرق أخرى لقوافلها وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التوضيح في النقطة الآتية:

محاولة قريش تغيير طريق تجارتها مع الشام

أدركت قريش أن قوافلها الذاهبة إلى الشام والعائدة منه عرضة للتهديد والملاحقة وتبين لها أن المسلمين قد أقاموا علاقات موادعة مع بعض القبائل المقيمة بالقرب من الساحل، ونظراً لأن التجارة حرفة قريش الأساسية والتي تأصلت في مجتمع مكة بحكم خصائص المكان ومهارة السكان ونشاطهم،لهذا رأت قريش أن لا تمر قوافلهم عبر طريق المدينة، وساحل البحر الأحمر في ذهابها إلى الشام، وأن تلجأ إلى طريق يمر عبر نجد فالعراق.

وذلك لتسويق بضائعها، وجلب بضائع الشام إلى مكة واليمن والحبشة، وغيرها من البلدان التي ترحل إليها قريش.

فهناك بعض الروايات التي تبين أن زعماء قريش حاولوا البحث عن مخرج للأزمة المتمثلة في تعرض المسلمين لقوافلهم المتجهة إلى الشام.

فقد روى الواقدي أن صفوان بن أمية قال: لقريش « إن محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه لا يبرحون الساحل، وأهل

الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه، ما لنا بها نفاق، إنما نزلناها على التجارة، إلى الشام في الصيف، وفي الشتاء إلى أرض الحبشة. فقال له الأسود بن المطلب: تنكب عن الساحل وخذ طريق العراق.. فقال صفوان: لست بها عارفا، قال أبو زمعة: وهو ـ الأسود بن المطلب ـ أنا أدلك على أخبر دليل بها يسلكها وهو مغمض العينين قال: من هو؟ قال فرات بن حيان العجلي، قد دوخها وسلكها. قال صفوان: فذلك والله، فأرسل إلى فرات بن حيان. فجاءه فقال: إني أريد الشام وقد عور علينا محمد متجرنا لأن طريق عيراتنا (كذا) عليه فأردت طريق العراق. قال فرات: فأنا أسلك بك في طريق العراق ليس يطأها أحد من أصحاب محمد»[١١١].

وسارت قوافل قريش وفيها صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب بصحبة دليلهم الفرات بن حيان العجلي، ومعهم الفضة والأموال الوفيرة.

وبلغت هذه التحركات النبي (صلى الله عليه وسلم) فأرسل زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ في سرية قوامها مائة راكب فاعترضت تلك السرية قوافل قريش عند ماء القردة في جمادى الآخرة من السنةالثالثة للهجرة، ونجحت في حيازة ما مع القوافل القرشية، وهرب أعيان قريش في حين أسر فرات بن حيان ونقل إلى المدينة أسيرا ثم أسلم بعد ذلك[١١٢].

وهكذا فشلت محاولة قريش، تغيير طريق تجارتها مع الشام، وتجنب سرايا المسلمين الموجهة نحو قوافلها، ورجع المخططون لها يجرون أذيال الخيبة والندامة، وتبين لهم مدى فاعلية الحصار الإسلامي لقوافلهم، وأخذ الشاعر حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ يدعو قريشا إلى ترك الشام، لأن المسلمين قد حالوا بينها وبينه وكان مما قال:

دعوا فلجات الشَّام قَدْ حال دُونَها جِلاَ كأفواهِ المخَاضِ الأوارِكِ
بأيدي رجالٍ هَاجَروا نحو ربِّهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائكِ[113]

ومعنى ذلك أن قوات المسلمين من المهاجرين والأنصار، سوف تستمر في الحيلولة بين قريش والمتاجرة مع الشام، ولعل فشل قريش في هذه المحاولة؛ من العوامل التي أججت الحماس في نفوس زعمائها، وجعلتهم يسارعون لملاقاة المسلمين في أحد، وكانوا من قبل قد بدؤوا في الاستعداد للحرب للثأر من المسلمين إثر غزوة بدر. هذا مع أن المسلمين[114]، ظلوا يضغطون على اقتصاد مكة من خلال سيطرتهم على الطرق التجارية.

رابعا: المقاطعة الاقتصادية لقريش من جانب أقاليم مؤيدة أو خاضعة للمسلمين

إذا كانت الضغوط الاقتصادية قد واكبت المواجهة بين قريش والمسلمين وأدت إلى إيقاف التعامل التجاري بين مكة (موطن قريش) والمدينة عاصمة الدولة الإسلامية فإن مما أضعف موقف قريش أن بعض الأقاليم والقبائل وقفت إلى جانب المسلمين في هذا الصراع فشاركت في ممارسة بعض الضغوط على اقتصاد مكة. وخير مثال على ذلك موقف إقليم اليمامة بعد إسلام أحد زعماء ذلك الإقليم وهو ثمامة بن أثال الحنفي في العام السادس من الهجرة النبوية[115]، حيث منع تموين قريش بالحنطة بعد إسلامة وذلك أن سرية نبوية أسرت ثمامة بن أثال، ولما أُتي به إلى المدينة عرض عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) الإسلام أولاً قبل فك أسره فلم يجب ثم أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بإطلاق سراحه، فذهب واغتسل ثم أعلن إسلامه، وخرج إلى مكة للعمرة فلما قدم إليها قال له قائل: صبوت: قال: «لا والله

ولكني أسلمت مع محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا والله لا يأتيكم حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم»[١١٦].

ولقد تمكن ثمامة بن أثال من منع حمل الحبوب من اليمامة إلى مكة رغم وجود هوذة بن علي ملك اليمامة.. ويرجع ذلك في رأي الدكتور/ عبدالله السيف إلى أن ثمامة وقومه كانوا يسكنون في حجر والقرى القريبة منها والتي تقع على الطريق الذي يربط اليمامة بالحجاز فكان باستطاعته التحكم في هذا الطريق وقطع الإمدادات التي كانت تصل من اليمامة أو البحرين إلى مكة كما أن نفوذ هوذة بن علي الحنفي قد أخذ يضعف نظراً لتوقف الدعم الفارسي لليمامة[١١٧].

ويمكن أن يضاف إلى ذلك، أنه نظراً لأن ثمامة بن أثال قد أهين في مكة حيث عزمت قريش على قتله بل قدموه للقتل فقال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم[١١٨]، لذلك لا بد أن تتحرك العصبية والمشاعر القبلية عند هوذة بن علي الحنفي نظراًلإهانة ثمامة في مكة ومن ثم فإنه لن يعترض على منع حمل الحبوب إلى مكة، فإن كلاً من هوذة بن علي وثمامة بن أثال ينتميان إلى بنى الدول ابن حنيفة[١١٩].

وعلى أي حال فإن قريشا قد تضررت جراء ذلك.. حتى أكلت العِلْهز[١٢٠].

وروى ابن هشام أنها كتبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إثر ذلك ما نصه « إنك تأمر بصلة الرحم وإنك قطعت أرحامنا وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع » فكتب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ثمامة يطلب منه السماح لقريش بحمل الطعام من اليمامة[١٢١].لقد تبين لنا أن إقليم اليمامة أعلن مقاطعة واضحة لمكة.. لكن هل هناك بلدان أو مراكز زراعية أخرى في الجزيرة العربية،

يمكن القول أنها لم تعد تمون قريشاً وتمدها بالمواد الغـذائية؟ الواقع دخول خيبر[١٢٢]، وفدك ووادى القرى تحت سيادة المسلمين في العام السـابع من الهجرة يجعل إنتاجها من التمور والحبوب يتـجه نحو المدينة، كما سيتولى تجـار المدينة تسويقه، ولقد أبقى المسلمون على اليـهود في خيبر والمراكـز الزراعية[١٢٣] الأخرى المجاورة لها على أن يعملوا في زراعتهـا ويكون للمسلمين نصف ثمارها، وهكذا فإن قريشا لن تسـتفيد من هذه المراكز ـ حتى وإن كـانت في حالة هدنة مع المسلمين بعد صلح الحـديبية ـ وبناء على هذا الوضع، فـإن تلك المراكز الزراعيـة تصبح في حكم الأقاليم المقـاطعة لمكة.

ضغوط المسلمين وأوضاع قريش الاقتصادية

أدت ضغوط المسلمين الاقتصادية على قـريش إلى نتائج سلبية على وضع قريش الاقتصـادي حيث أصيبت تجارة قريش بالبـوار والكساد، نتيجة لتـوقف تجارة قريش مع الشـام والعراق واليـمـامة، كـذلك فإن تلك الـضغـوط أدَّت إلى إصابة قـريش بالمجاعة. ويرى بعـض الباحثين أنه بحكم اعتـماد مكة على التجارة فإن مـهارة النبي (صلى الله عليـه وسلم) في تعطيل تلك التـجارة وقطعـها أدى إلى انتـصاره آخـر الأمر[١٢٤] ، لكن التـدهور الاقتـصادي الذي آل إليـه وضع مكة قبل الفـتح لا يرجع فـقط إلى عوامل مـادية أو سـياسـيـة، ولا إلى سيطرة المسلمـين على طرق التجـارة فحسب؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أتاح لقريش الفرصة بعد صلح الحديبية لكي تنشط في هذا المجـال[١٢٥] . بل إلى عـوامل أخرى للتـدهور الاقـتصـادي لدى قـريش منها دعـاء النبي (صلى الله عليـه وسلم) على كـفار قـريش وغيـرهم نظراً لاشتداد شوكـتهم وكثرة أذاهم[١٢٦]، وقد ثبت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه

قد دعا على كفار قريش في مكة والمدينة كما دعا على كفار مضر أن يصابوا بسنين كسني يوسف عليه السلام أي سني قحط وجوع[١٢٧].

ومعلوم أن قريشاً من جملة القبائل المضرية[١٢٨]، وإن أغلب قبائل مضر موالية لقريش، وكذلك فإن من العوامل المؤدية إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في مكة: انتشار الظلم وبخس الحقوق حيث مارس ذلك كبار الزعماء كما مر بنا.. وقد زاد في معاناة قريش أنها أصيبت بأفدح الأضرار والخسائر جراء الحروب التي شنتها على المسلمين والتي استنزفت أموال قريش مما أتاح الفرصة لنشاط قوافل المسلمين لتملأ الفراغ الذي تركه تقلص أنشطة قريش التجارية، فرحل بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مثل أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف للتجارة مع الشام[١٢٩].

عطاءات مالية ومادية من جانب المسلمين بعد الفتح

بعد إنهاء السيادة الوثنية على مكةوالقضاء على أنظمتها الاقتصادية والسياسية . استعمل المسلمون أموال الغنائم لتحقيق عدة أهداف منها : إزالة رواسب الشرك والوثنية ، واستلال عقد الضغينة وموروثات العداء الكامنة في خبايا النفوس ، وتعد تلك الخطوة ضغطاً إيجابياً موجها ضد الكفر والشرك يستهدف كسب قلوب زعماء مكة وينهي تعلقهم بالشرك .

لقد أعطى النبي (صلى الله عليه وسلم) أبا سفيان بن حرب قائد قريش في أحد والخندق مائة بعير ، وكذلك أعطى حكيم بن حزام والحارث بن هشام المقدارنفسه [١٣٠]، ومنح صفوان بن أمية شِعبا مملوءاً بالنَّعم والشياه والرعاء [١٣١]، كما جاء في بعض الروايات أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث بمال إلى مكة ليقسم في قريش بعد فتح مكة [١٣٢].

إن من أهداف هذه الأعطيات الجزيلة كما مر بنا إزالة رواسب الشرك والأحقاد والضغط على الوثنية التي هيمنت على مكة مدة طويلة.

وهكذا تبين لنا أن الضغوط الاقتصادية أسلوب واكب مسيرة الصراع بين المسلمين وقريش وإن اختلفت السبل والوسائل التي حاول كل طرف بوساطتها تهديد الوضع المادي للطرف الآخر . ولقد كانت قريش هي البادئة بتوجيه سلسلة من الضغوط على المجموعة الإسلامية في مكة، وقد فشلت في تحقيق الأهداف والغايات التي سعى إليها زعماؤها .. ومن جانب المسلمين تبين لنا أن من أبرز الضغوط التي وجهها المسلمون إلى اقتصاد قريش ملاحقة القوافل القرشية التجارية ومطاردتها بهدف إضعاف قريش عسكريا لتكف عن عدوانها وظلمها..

وعندما نجح المسلمون في هذه المواجهة لم يبق أمامهم سوى تصفية بقايا الوثنية ورواسبها الكامنة في القلوب وتم ذلك بوساطة دفع المال لزعماء قريش بهدف تأليف قلوبهم على الإسلام.

الهوامش

(1) Donner Fred Mcgraw Donner, Mecca's Food Supplies And Muhammad's Boycott'' History of the orient , 751, xx , Psrt III , 1977 . PP - 266 .

(٢) من له أدنى علم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متفائلا بظهور أمر الإسلام وغلبته ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة " والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه » البخاري : جـ٤ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ والأمثلة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها .

(٣) Donner , Ibid , P 250 - 251

(٤) Donner, Ibid , P 262

(٥) Donner, Ibid , P 263

(٦) السيرة النبوية الصحيحة ، المدينة ، دار العلوم والحكم ١٤١٢ هـ ط ١ ، ص ٣٥ .

(٧) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين.١٩٧٨ م ص ٦٩ .

(٨) ابن هشام : عبدالملك بن محمد (ت ٢١٨ هـ) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ج١ ، ص ١٤٧ ، ١٩٤. وانظر أيضا : جواد علي : المرجع السابق . ص ٦٦ - ٦٧ .

(٩) للمزيد من المعلومات عن هذه الأسواق انظر : ياقوت الحموي (ت ٦٢٢ هـ) معجم البلدان ، دار صادر . بيروت ج ٥ ص ٥٥ ، ٧٥ ، ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري - طبعة دار الفكر ، بيروت ج ٣ ، ص ٤٩٥ ، سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دمشق ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .

(١٠) انظر على السبيل المثال مقالة أبي جهل « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف..إلخ..» محمد إبن اسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ) : سيرة ابن اسحاق المبتدأ والمبعث ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ، ص ١٧٠ .

(١١) ابن هشام : المصدر السابق . ج ، ص ١٤٧ .

(١٢) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار

الفكر العربي القاهرة ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٣٤.

(١٣) انظر: ابن حبيب: محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) المنمق في أخبار قريش. دار عالم الكتب، ط١ ،١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص ٤٣.

(١٤) Donner , Mecca's Food Supplies, P.262.

(١٥) سورة القصص ، آية (٥٧) .

(١٦) انظر : الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) جامع البيان في تفسير القرآن ، مج ١٠ ، ج ٢٠ ، ص ٦٠ .

(١٧) سيد قطب : في ظلال القرآن ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٧ هـ ج ٥ ، ص ٢٧٠٣ .

(١٨) البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، ج٤ ، ص ٣٤٩ .

(١٩) انظر : ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٢٠) سورة المزمل الآية (١١) .

(٢١) الشوكاني : محمد بن علي (١٢٥٠هـ) : فتح القدير ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٨٣ هـ ج٥ ، ص ٣١٨ .

(٢٢) الطبري : محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار سويدان ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

(٢٣) الطبري : محمد بن جرير (٣١٠هـ) : جامع البيان في تفسير القرآن ، مج٥ ، ج ٧ ، ص ١٢٨.

(٢٤) سورة الزخرف الآية (٣١).

(٢٥) الوليد بن المغيرة : أحد زعماء قريش وبني مخزوم لقب بالعدل والوحيد ، يعد من أبرز أثرياء مكة في عصر البعثة المحمدية ، مات بعد الهجرة بقليل وعمره خمس وتسعون سنة (انظر : البلاذري : أنساب الأشراف ج ١ ، ص ١٢٣ ، الطبري : جامع البيان ، مج ١١ ، ج ٢٧ ، ص٤) .

(٢٦) الطبري محمد جرير (ت ٣١٠هـ) : المصدر السابق ، ج ٢٥ ، ص ٤٠ ، وهناك أشخاص آخرون كان المشركون يرون أنهم أولى بالنبوة من محمد (صلى الله عليه وسلم). انظر : المصدر نفسه .

(٢٧) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٢٨) ابن هشام : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(٢٩) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

(٣٠) ابن هشام : المصدر السابق ج ١ ، ص ٣٤٢.

(٣١) البخاري : محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، ج ٥، ص ٢٣٧ - ٢٣٨

(٣٢) ابن هشام : المصدر السابق :ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٣٣) الطبري : محمد بن جرير (ت ٣٢٠هـ) : جامع البيان في تفسير القرآن ، مج ٨ ، ج ١٦، ص ٩١ .

(٣٤) سورة مريم الآيات (٧٧ - ٨٠)

(٣٥) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .

(٣٦) البيهقي : دلائل النبوة ، ج ٢ . ص ٣١٢ .

(٣٧) الصالحي : محمد بن يوسف: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ .

(٣٨) ابن هشام : المصدر السابق ج٢ ص ٣٧٥ .

(٣٩) البيهقي : المصدر السابق ج ٢ ، ص ١٥ .

(٤٠) محمد بن إسحاق : سيرته ، تحقيق محمد حميد الله ، ص ١٤٠ .

(٤١) انظر البيهقي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٤٢) انظر : مثلا : ابن إسحاق : سيرته ، ص ١٤٠ .

(٤٣) عبدالعزيز الهلابي : مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب ، بحث في دراسات تاريخية ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود بالرياض ، ١٤١٤ هـ ، ص ٢٢ .

(٤٤) يعد موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ) من الرواة الذين أجمع البخاري ومسلم والأئمة الأربعة على الرواية عنهم ، وتعد مغازية أصح المغازي عند الإمام مالك ،انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ١٠ ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ ، البيهقي : دلائل النبوة ، ج ٣ ، ص ١٠١ - ويلحظ أن تفاصيل أحداث المقاطعة لم ترد بها أحاديث مستوفية لشروط الصحة الحديثية ، لكن أصل الحادثة ثابت عند البخاري وغيره ، راجع : ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ هـ أكرم العمري : السيرة النبوية ، ص ١٨١ .

(٤٥) البيهقي : دلائل النبوة ، ج ٢ . ص ٣١١ .

(٤٦) البلاذري : أحمد بن يحيى : أنساب الأشراف ، ص ٢٣٤ ، الصالحي: سبل الهدى والرشاد ج ٢ ، ص ٥٠٣ .

(٤٧) القاموس المحيط ، ط ٢ ، بيروت ١٤٠٧ هـ ، مادة :حصر .

(٤٨) مختار الصحاح ، دار القلم ، بيروت ،مادة: حصر.

(٤٩) مجموعة من الأساتذة : (أحمد العايد وداود عبده وآخرون) : المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، توزيع لاروس تونس ، ١٩٨٩م .

(٥٠) ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ج١ ، ص٣٧٥ .

(٥١) الشريف : مكة والمدينة ، ص ٢٩٧ .

(٥٢) ابن هشام : سيرة النبي صلى عليه وسلم ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

(٥٣) ابن هشام :المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦٨ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٤٣٥ (٥٤) ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ .

(٥٥) ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ١ . ص ٢٠٦ ، ج ٢ ، ص ٩٨ ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ ، ج ٥ ، ص٩٩ .

(٥٦) البخاري : صحيحه ج ٤ ، ص ١٩٢ ، وانظر ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .

(٥٧) انظر : البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر ، (ت ٢٧٩) : أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٣٩ .

(٥٨) سورة البلد : الآيات (١١ - ١٦) ، وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٥١٥ ، الشوكاني : فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٥٩) سورة الماعون آية (١ - ٣) .

(٦٠) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، دار سويدان ، بيروت ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

(٦١) البيهقي : دلائل النبوة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٦٢) ابن هشام : سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ج١ ، ص ٣٥٧ .

(٦٣) انظر علي الشيخ أحمد أبو بكر : معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة ، نشر مكتبة التوبة، الرياض ص ١٢٦.

(٦٤) ابن هشام : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ ، الصالحي : سبل الهدى والرشاد ، ج ٢ ص ٥٥١ - ٥٥٣ ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، .

(٦٥) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٦ ، الصالحي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥١ - ٥٥٣ .

(٦٦) الحديث أخرجه البخاري ومسلم : انظر : البخاري . صحيحه ، ج ، ص ٩٦ ، مسلم . صحيحه ، ج ٤ ، ص ١٩٩٦م .

(٦٧) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٨.

(٦٨) الصالحي : سبل الهدى والرشاد . ج ٢ ص ٥٥٢، تحقيق مصطفى عبدالواحد .

(٦٩) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٧٠) انظر : الواقدي (محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ) : المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ج١ ، ص ١٨١ .

(٧١) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٧٢) البيهقي : دلائل النبوة ،ج ٣ ، ص ٢٧ .

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٧٤) انظر : عبدالمجيد النجار : في فقه التدين ، قطر ، ط ١ ١٤١٠هـ ج ٢ ، ص ١٣٠ ، وانظر : عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ ص ١٨٦ .

(٧٥) سورة التوبة آية (٤١) .

(٧٦) انظر ابن هشام : المصدر السابق ج٣ ، ص ٤٥٢ ، الصالحي : سبل الهدى والرشاد ، ج ٣ ، ص ٣١٥.

(٧٧) انظر : ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، وهذا الخبر له طرق تزيده قوة وتدل على ثبوته .. انظر : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ، ص ٢٣ .

(٧٨) انظر البخاري : صحيحه ، كتاب الهبة : ج ٣ ، ص ١٤٤ ، انظر ابن هشام : سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(٧٩) ابن هشام : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ص ٢٧٩ .

(٨٠) انظر : العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

(٨١) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، ١٣٣ .

(٨٢) الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ٩ ، ١١ .

(٨٣) الخرار : موضع قرب الجحفة وقيل واد من أودية المدينة ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٥٠) .

(٨٤) الواقـدي : المصدر السـابق ، ج١ ، ص ١١ ، وهناك اختـلاف بين ابن اسـحاق والواقـدي في تواريخ السرايا الأولى انظر ابن هشام : سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ج٢ ، ص ٢٢٤، ٢٣٠ .

(٨٥) انظر : ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٨٦) ابن هشام : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٨٧) الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ١٢ ، هذه الغزوة سـبقت بدر (الكبرى) ، وفيـها وادع النبي صلى الله عليـه وسلم بني مدلج ومن تحالف مـعهم وهي عند الواقـدي (غزوة ذي العشـيرة) انظر: ابن هشام: المصدر السابق، ج٢ ص ٢٣٦، الواقدي: المغازي ، ج ١، ص ١٢ .

(٨٨) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٢٨١ .

(٨٩) خليفـة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) تاريخ خليـفة بن خيـاط ، تحقـيق : أكرم العمـري ، مؤسـسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧ هـ ، ص ٦٣ .

(٩٠) كشد الجهني : ذكره كل من ابن الأثير وابن حـجر في عداد الصحابة رضي الله عنهم ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، عرض أن يقطعـه ينبع فقال إني كبير وقـد نفد عمري ، انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ج ٤ ، ص ٢٣٩ و ابن حجر : الإصابة في تمـيـز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ .

(٩١) المغازي : ج ١ ، ص ١٩ .

(٩٢) البيهقي : دلائل النبوة ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

(٩٣) انظر ابن هشـام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، الواقدي: المغازي ، ج١ ، ص ٢٢ .

(٩٤) الصفـراء : واد قريب من ينبع عـلى بعد ٥١ ميـلا من المدينة ، راجع : عاتق البلادي : مـعجم المعالم الجغرافية ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٩٥) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٩٦) بئر السقيا : قرية قريبة من الجحفة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

(٩٧) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ، ٢٢٢ .

(٩٨) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٩٩) انظر : رواية موسى بن عقبة عند البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ، ص ١٠٣ .

(١٠٠) هي الجمال التي تحمل العطر ، الصالحي : سبل الهدى والرشاد ، ج ٤ ، ص ٢٠٦.

(١٠١) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(١٠٢) الواقدي : المغازي ، ج١ ، ص ٤٤ .

(١٠٣) المصدر نفسه .

(١٠٤) سورة الأنفال الآية (٧) .

(١٠٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

(١٠٦) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(١٠٧) انظر : فكتور سحاب : إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، بيروت ط ١ ، ١٩٩٢م، ص ٤١١ .

(١٠٨) محمد ياسين صديقي : الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي ، ترجمة : سمير عبدالحميد ، دار الصحوة ، القاهرة ١٤٠٨ هـ ص ٦٣ . وانظر : تفسير الآية الكريمة « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » عند الطبري . جامع البيان في تفسير القرآن مج ٦ ، جـ٩ ، ص ١٢٢ .

(١٠٩) سورة الأنفال الآية (٧) .

(١١٠) الطبري : المصدر السابق مج ٦ ، ج ٩ ، ص ١٢٦ .

(١١١) الواقدي: المغازي : ج١ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(١١٢) الواقدي : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، ابن هشام : سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ج ٢ ، ص ٤٣٠ .

(١١٣) ابن اسحاق : سيرة ابن إسحاق ، تحقيق محمد حميد الله ، ص ٢٩٦ .

(١١٤) انظر : أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، ص ٤٦٠ .

(١١٥) عن تاريخ أسر ثمامة انظر : البيهقي : دلائل النبوة ، ج ٤ ، ص ٧٨ ، الصالحي : سبل الهدى والرشاد ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(١١٦) البخاري ، صحيحه ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .

(١١٧) انظر : ثمامة بن أثال الحنفي ، بحث في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١٦) صفر ، ١٤١٧ هـ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(١١٨) ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج ٤ ، ص ٣١٦ .

(١١٩) انظر : ابن حزم : علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ، عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، مصر (د ، ت) ص ٣١٠ - ٣١٢ .

(١٢٠) البيهقي : دلائل النبوة ، ج ٤ ، ص ٨١ ، والعلهز : طعام من الدم والوبر ، كان يتخذ في

المجاعة (الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) : القاموس المحيط ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٦٦٦.

(١٢١) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣١٧ .

(١٢٢) انظر : ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٧٨، ٣٨٩، ٤٠٨ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(١٢٣) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٤٩٦ - ٤٩٧ ، وعن أثر خيبر في تموين المدينة انظر: حديث ابن عمر " ما شبعنا حتى فتحنا خيبر " المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٤٩٥ .

(١٢٤) Donner Mecca's Food Supplies And Muhammad's P zs o

(١٢٥) انظر : البلاذري : أبو الحسن البلاذري ، فتوح البلدان .. تحقيق : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ص ٥٠ ، حيث نص الصلح على أنه من قدم المدينة عامداً إلى الشام والمشرق فهو آمن .

(١٢٦) ابن حجر : فتح الباري ، ج ٨ ، ص ٥٧٢ .

(١٢٧) انظر : البخاري ، صحيحه ، ج ٢ ، ص ١٥ ، ابن حجر : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

(١٢٨) انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٢ .

(١٢٩) الخزاعي : علي بن محمد ، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٦٨٧ .

(١٣٠) ابن هشام : سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .

(١٣١) الواقدي : المغازي . ج ٣ ، ص ٩٤٦ .

(١٣٢) أبو داود : السنن .. كتاب الأدب ، ج ٤ ، ص ٢٦٦.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

- القرآن الكريم :

ابن الأثير: علي بن محمد (٦٣٠ هـ)

أسد الغابةفي معرفة الصحابة ، نشر المكتبة الإسلامية بيروت (د - ت) الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٦ هـ .

ابن إسحاق : محمد بن اسحاق بن يسار (١٥١هـ) :

سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث تحقيق وتعليق :محمد حميدالله، ٧١ دار الوقف للخدمات الخيرية ، قونية ، تركيا ١٤٠١هـ .

البخاري :محمد بن اسماعيل (٢٥٦هـ) :

صحيح البخاري - نشر المكتبة الإسلامية ، تركيا .(د ، ت) .

البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) :

فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .أنساب الأشراف ، ط ١ ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ،مصر .١٩٥٩م.

البيهقي : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) :

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

السنن الكبرى: طبع في حيدر آباد الهند ، ١٣٤٤هـ.

ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) :

المنمق في أخبار قريش، تحقيق ، خورشيد أحمد ، بيروت ، دار عالم الكتب ط ٧١ ، ١٤٠٥هـ.

ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥١ هـ) :

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، طبعة دار الفكر، (د ، ت) .

تهذيب التهذيب ، ط ١ ، حيدر آباد الهند ، ١٣٢٥هـ .

الإصابة في تمييز الصحابة ، ط ١ ، القاهرة ١٣٨٨هـ.

الخزاعي : علي بن محمد الخزاعي (٧٨٩هـ) :

تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الحرف ، والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق إحسان عباس ط ١ دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ .

ابن حزم : علي بن أحمد سعيد (٤٥٦هـ) :
جمهرة أنساب العرب ، ط ٥ ، دار المعارف مصر ، (د ، ت) .
الحموي : ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٢هـ)
معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .
ابن خياط : خليفة بن خياط (٢٤٠هـ) :
تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢ ، ١٣٩٨هـ.
أبو داود : سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) :
السنن، تحقيق:محمد محيي الدين، نشر المكتبة الإسلامية، تركيا، دت.
الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت بعد سنة ٦٦٠هـ) :
مختار الصحاح ، ط ١ ، دار القلم، بيروت د ، ت .
الشوكاني : محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ) :
فتح القدير ، دار الفكر ، بيروت (د ، ت) .
الصالحي : محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ):
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج ٢ ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، ط ٢،١٤٠٧هـ .
الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) :
تاريخ الأمم والملوك تحقيق أبو الفضل إبراهيم،نشر دار سويدان،بيروت، د،ت ١٦
جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة بيروت ٣٩٨هـ .
الفيروز آبادي : محيي الدين بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) :
القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .
ابن القيم : محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ) :
زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط ٢ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٨٢هـ.
ابن كثير : اسماعيل بن كثير : (ت ٧٧٤هـ) :
تفسير القرآن العظيم ، دار الحديث ، بيروت ، ١٣٩٦هـ.
النيساوري : مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ):
صحيح مسلم ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا ، د ، ت .
الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ):
المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ.

المـراجـــع

أبو بكر : علي الشيخ أحمد أبو بكر :

معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، مكتبة التوبة،ط ١،١٤١٣هـ الرياض .

البلادي : عاتق بن غيث البلادي :

معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط ١ ، مكة ، ١٤٠٢هـ .

خليل : عماد الدين :

دراسة في السيرة ، ط ٣ ، بيروت ١٣٩٨هـ .

سحاب : فكتور :

إيلاف قريش . رحلة الشتاء والصيف ط ١ ، بيروت ١٩٩٢م .

عبدالله محمد السيف :

ثمامة بن أثال الحنفي.. بحث في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١٦) صفر ١٤٠٧هـ .

الشريف : أحمد إبراهيم

مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ، دار الفكر العربي (د،ت).

صديق : محمد ياسين صديقي

الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلام ، ترجمة سمير عبدالحميد، دار الصحوة ، القاهرة ١٤٠٨هـ .

علي : جواد

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.

العمري : أكرم

السيرة النبوية الصحيحة المدينة ، دار العلوم والحكم ط ١ ، ١٤١٢هـ.

قطب : سيد

في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ٣ ، بيروت ، ١٣٩٧هـ.

مجموعة من المؤلفين :

المعجم العربي الأساسي ، تونس ، ١٩٨٩م .

النجار : عبدالمجيد النجار

في فقه التدين ، ط ١ ، قطر ، ١٤١٠هـ .

الهلابي: عبدالعزيز بن صالح

مقـاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب: بحث منـشور في دراسات تاريخيـة،ج ١، نشر مركز البحوث، كلية الآداب، جامعـة المـلك سعود ، ١٤١٤ هـ.

الوادعي : مقبل بن هادي

الصحيح المسند من أسباب النزول ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٤٠٨هـ .

Donner, Ferd Mecc's Food Supplies And Mahmmad's Boycoot, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. XX Part III, 1977 NETHERIANDS.,